قضايا الأدب والآداب

ندوة «قضايا الشعر العربي المعاصر»

تلقينا من الأستاذ الطاهر قيقة المدير العام المساعد لإدارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العرض التحليلي التالي:

عقدت بتونس/الحمامات من ٤ إلى ٨ أيار/ماي ١٩٨١ ندوة قضايا الشعر العربي المعاصر بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والندوة حلقة دراسية اشترك فيها نقاد وشعراء عرب تناولت بالبحث بعض قضايا الشعر العربي المعاصر من خلال دراسات منهجية كلف بإعدادها النقاد وعروض للتجارب الشعرية كلف باعدادها الشعراء تركز على تفرد التجربة الشعرية وخصوصيتها وتؤكد على أبعادها الفكرية والفنية مساهمة من الندوة في استيضاح الرؤية الشعرية المعاصرة.

قدم الأستاذ محمود أمين العالم بحثاً حول (لغة الشعر الحديث وقدرته على التوصيل) وقدم الأستاذ طراد الكبيسي بحثاً حول (موقف الشاعر من قضايا التحرر والوحدة في الوطن العربي) كما قدمت الأستاذة سلمى الخضراء الجيوسي بحثاً حول (المستويات الإنسانية في الشعر العربي الحديث) والأستاذ زكي الجابر بحثاً حول (الشعر ووسائل الإعلام).

وقدم كل من الشعراء الأساتذة أدونيس وأحمد عبد المعطي حجازي وسليمان العيسى وجعفر ماجد وهارون هاشم رشيد عروضاً لتجاربهم الشعرية. وقد ناقش النقاد والشعراء الدراسات والعروض جميعاً ووصلوا إلى وضع بيان ختامي يثير بعض النقاط الهامة التي طرحت في الندوة والتي تمثل قضايا أساسية تواجه حركة الشعر العربي المعاصر والثقافة العربية بأسرها لما للشعر من دور كبير في الحياة الثقافية العربية والتراث العربي.

افتتحت الندوة يوم الإثنين ٤ أيار/مايو ١٩٨١. بمقر المنظمة بتونس، وتضمن الافتتاح كلمتين في الشعر المعاصر وقضاياه، ألقى الأولى وزير الشؤون الثقافية بتونس، الأستاذ البشير بن سلامة والثانية المدير العام للمنظمة الأستاذ الدكتور محي الدين صابر.

ركز الأستاذ البشير بن سلامة على قضية اللغة الشعرية باعتبارها القضية الجوهرية في الشعر العربي. وقال إن اللغة الشعرية ترتبط ضرورة بالوزن الذي يحدد من حيث هو أداة للتعبير - ماهية الشعر وجوهره. لكن ذلك لا يعني الالتزام بالأوزان التي نظم فيها الشعراء السالفون لأن ذلك «اكتفاء بالماضي وحدّ من امكانيات الابتكار والخلق وتضييق للاجتهاد في مجال موسيقى الشعر ولغته وإيقاعه بالخصوص).

وقد طرح الأستاذ بن سلامة القضية الأساسية في الشعر العربي المعاصر على أنها بحث وابتكار لوحدة إيقاعية لبناء لغة شعرية جديدة تحافظ على المقومات الأساسية للشعر وتستجيب لمتطلبات الحياة الجديدة. إن المشكل هو (مشكل علاقة جدلية حية معقدة بين موروثنا الفني في لغة الشعر من جهة ومقتضيات الحاضر والعصر ومتطلباته من جهة ثانية، فهو مشكل العلاقة بين الأصالة والتفتح على أنفسنا أي على حياتنا المعاشة والتفتح على غيرنا أي على العالم).

وركز الدكتور محي الدين صابر في كلمة بعنوان (ذاتية الإبداع الفني). على تحديد معنى الابتداع من حيث هو إما (اكتشاف لما هو موجود وإما تأليف لصيغة جديدة من أشياء موجودة تتغير علاقاتها ومواقعها). من هنا لا يمكن للإبداع الحق أن يكون خروجاً على كل شيء وتنكراً لكل شيء وأكد الدكتور صابر أن ذلك لا يعني استرجاع الماضي - وهو أمر مستحيل اجتماعياً - بل يعني التفكير في الماضي تفكيراً انتقائياً لا ينتزع الأشياء من إطارها ولا يخرجها عن سياقها. فهناك أمر مشترك بين العصور هو (الذاكرة الحضارية) التي تجعل من المستحيل الانبتات عن الماضي: (فلا بد من تراكم الخبرات وتواصلها... واللغة هي أداة هذا التواصل، والشعر هو جزء من هذه اللغة).

وطرح الدكتور صابر عدداً من الأسئلة التي يمكن أن تشكل مدخلاً لدراسة بعض قضايا الشعر: (هل الناقد الأدبي، بإيديولوجيته الفنية أو الفكرية هو الذي يقود الإبداع والإنتاج ويرسم الشاعر المنهج والأسلوب والصيغة؟ أم أن المبدع هو الذي يخلق النقد، ويقود الناقد الذي يتولى تقريب ذلك الابداع وعرضه وإدماجه في حياة المجتمع؟ وهل يكون الناقد الأدبي شخصاً مبدعاً أم شخصاً دارساً؟ وهل يكون مؤسسة أو يكون سلطة؟ ما هي الفروق بين العالم والتكنولوجي وبين الناقد والشاعر؟ وما هي الأشياء المشتركة بينهما؟).

* * *

وفي المركز الثقافي الدولي بالحمامات اجتمع النقاد والشعراء المشاركون في الندوة وقدم كل منهم بحثه وتمت مناقشة القضايا المطروحة بروح عالية من الجدية وشعور عميق بالمسؤولية أمام الكلمة.

قدم الأستاذ محمود أمين العالم بحثاً بعنوان (لغة الشعر العربي الحديث وقدرته على التوصيل)، عرف فيه الشعر بقوله: (إن الشعر بنية لغوية خاصة ذات دلالة فعالة وليس التوصيل في الشعر إلا هذه الدلالة الفعالة النابعة من بنيته اللغوية الخاصة). وقد فرق الأستاذ العالم هنا بين لغة الشعر واللغة العادية ذات الطبيعة المنفعية والعملية المباشرة من ناحية وبين هذه اللغة الشعرية والتعبير العبثي والمحال. ورفع الشعر عن الشكلانية الجمالية الفارغة وإن أكد أن مهمته ليست تعليمية وتثقيفية مباشرة.

طرح الأستاذ العالم قضية الغموض في بعض تجارب الشعر العربي المعاصر وأكد ارتباط هذا الغموض بالانفصال عن حياة الواقع من ناحية والانقطاع عن الذاكرة التراثية من ناحية أخرى. وبهذا ينتفي كون الغموض قضية تعبيرية مرتبطة بالتعقيد اللغوي والشكلي ويغدو (نتيجة طبيعية للعزلة والاغتراب والتعالي عن الواقع الحي)، وخروجاً بالشعر عن موروثاته وذاكرته اللغوية) واعتبار الثورة الشعرية مجرد (تفجيرات شكلية) تنتهي إلى التجريد الميتافيزيقي والصوفي. ويرى أن هذا الاتجاه الشعري هو إيهام (بثورة مزعومة تسد الطريق أمام الثورة الحقيقية). فالثورية في الكتابة والشعر قد تكون (في حماية الموروثات وتطويرها وتعميق الذاكرة التراثية وإضاءتها بالوعي النقدي والاستيعاب الخلاق.

الثورة في الكتابة وفي الشعر ليست فقداناً للذاكرة، وتوازناً شكلياً مع ثورة الواقع، بل هي امتداد تراثي يتجاوز نفسه باستمرار تجاوزاً جدلياً، وهو فاعلية إيجابية في تغذية الوعي بالواقع وبإرادة تغييره وتثويره وليس في تغذية الرؤى الغيبية والشطحات الاغترابية والمشاعر الذاتية المتعالية والعدمية باسم التحرر من استلاب الواقع وتجاوز إيديولوجيته السائدة).

وقدم الأستاذ طراد الكبيسي بحثاً بعنوان (موقف الشاعر من قضايا التحرر والوحدة في الوطن العربي) أكد فيه عدم إمكانية فصل الرؤية الفنية عن الرؤية الفكرية، الأمر الذي يحتم إرتباط النظرة الحديثة إلى الحياة الاجتماعية بأسلوب حديث في التعبير الشعر ،، يطرح الأستاذ الكبيسي قضية مهمة تتصل بالشعر الذي يعالج قضايا السياسة والوطنية وهي الوقوع فريسة للكتابة التحريضية والشعارية والخطابية المباشرة التي (تتجرد الكلمة فيها من كل ظلالها الإيحائية والانثرولوجية)، فيفقد الشعر صفته الإبداعية ودوره الجمالي في إثراء التراث الثقافي للأمة وفي التعبير عن وجدانها وقضاياها المصيرية. وبهذا يصبح الارتباط حتمياً بين الشكل والمضمون، ويتحتم (الاعتراف بأن قيمة أي أدب نضالي أو ثوري، لا تتقرر ثورته بالمضامين التي يطرحها، بقدر ما تتحقق بالتكامل الإبداعي فيه، أي مضمون ثوري في شكل ثوري جديد، فالانفعال بمشكلة التغيير انفعال شامل).

ويخلص الأستاذ الكبيسي إلى القول (إن ثمة باصرة أو رؤيا مستقبلية تحذر الشاعر من الوقوع فيما هو فانٍ... فمقتل الشاعر والفن عموماً هو الثرثرة أو السقوط في ما هو ظرفي أو طارىء أي أن يكتفي الفن بأن يؤدي دوراً مرحلياً مرتبطاً بالحدث وحسب، ثم يصير بعده عباً على الأدب وتاريخه الذي هو تاريخ الأمة، لا أن يوجد أو يرسخ قيماً ومواقف وجدانية وفكرية وجمالية لا تزول بزوال الحدث، بل تستمر من بعده، فارضة نفسها بقوتها الديناميكية، وباصرتها الطليعية، كمطلقات إنسانية وخصوصيات قومية، على الذاكرة العربية. أي أن تكون جزءاً مهماً من موروثها الإبداعي الثقافي الذي تعتز به، يحيا بها وتحيا به).

وقدمت الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي بحثاً حول (المستويات الإنسانية في الشعر العربي الحديث) ركزت فيه على نقاط ثلاث هي (الشعر العربي المعاصر في المستوى الإنساني) و(الشاعر العربي المعاصر في العالم) و(رؤيا الإنسان والكون في الشعر العربي المعاصر). ورأت أن اتجاه الشعر العربي الحديث إلى التعبير عن القضايا المصيرية التي يواجهها العالم العربي يوفر له قاعدة عالمية يرتكز عليها جزء كبير من الشعر العالمي اليوم لأن هذه القضايا إنسانية مشتركة. وهذا هو الاتجاه السليم في التعبير الشعري. بينما التأثر المباشر بالشعر العربي - وإن أقام صلة سريعة بالقارىء الغربي - فإنه لا يعطيه البعد الثقافي الذي ينشده في ثقافة مختلفة متميزة على الثقافة الغربية، وهذا لا يعني - على حد تعبير الدكتورة الجيوسي - (أن نلح في شعرنا على التمسك بالموروث ولكن أن نحافظ على موقعنا من العالم وأن نظل واعين لخصوصيتنا الحضارية وقضايانا الإنسانية في أبعادها الإقليمية والشمولية معاً).

وقدم الدكتور زكي الجابر بحثاً بعنوان (الشعر ووسائل الاعلام) طرح فيه السؤال: (هل تستطيع وسائل الاعلام أن لا تشوه أسرار جماليته (أي الشعر) وأن تبقيه نتاجاً يتفتق عن واقع المجتمع؟) وأكد أنه يتحدث عن المفهوم الحديث للشعر الذي يحدده (بالتناغم وصعوبة الترجمة ولامعقوليته للفرد الاعتيادي) بالإضافة، إلى كونه (محدداً باتصاله بالأشياء، وله دلالاته المتشعبة، إلى جانب تأثيراته الجمالية المكثفة).

يرى الدكتور الجابر أن وسائل الاعلام تعاملت مع الشعر بألوانه المتعددة التي فصلها في اتجاهات ثلاثة هي: (القصيدة - الدعاية) وتتمثل في الحماس للوطن وتمجيد الأبطال والدفاع عن مقدسات الأمة وتميل فنياً إلى لون من الخطابية والتقريرية. والتراث العربي حافل بهذا الضرب من الشعر الذي تحتفل به أجهزة الاعلام احتفالاً كبيراً بسبب حاجة الدعاة إليه. و(القصيدة - الغناء) التي تلحن وتغني وتذاع عبر أجهزة الاذاعة والتلفزة والتي شاع معظمها لا للجودة الفنية بل لجمال اللحن وحسن الأداء والتكرار في أسماع الجمهور. و (القصيدة - الشعر) التي يعرفها الناقد بأنها (داخلية تتوجه إلى داخلية) وهو الشعر الذي (يحتاج إلى جهد وتفحص من أجل استيعابه وتذوقه، إنه ذلك الشعر الذي يستجيب لمطالب الحياة ويهدم البنيات ليبنى بنيات أخرى..... وهو الذي يعيد للإنسان في

لحظات خاصة، توازنه مع العالم الخارجي) هذه القصيدة هي شعر بحكم طبيعتها، لا بحكم ذيوعها عبر أجهزة الاعلام. ويحبذ الدكتور الجابر استخدام أجهزة الاعلام الفردية لنشر هذا النوع من القصائد كأشرطة الكاسيت والاسطوانات والفيديوتيب وأسطوانات الفيديو للحفاظ على قيمتها الجمالية بعيدة عن التشويه الذي قد يصيبها بنشرها من خلال أجهزة الكومبيوتر والآليات البصرية وغيرها من التكنولوجيا المتطورة، ويرى أن أجهزة الاعلام الفردية تمنح المستمع أو المشاهد فرصته للاستغراق والتأمل في القصيدة - الشعر.

وينتهي الدكتور الجابر إلى القول إن الفن ليس دعاية، ويرى أن هذا لا ينفي دوره الاجتماعي في تغيير عقول البشر لا بالاقناع لكن بالحقيقة والجمال.

* * *

وقدم الشعراء المشاركون في الندوة عروضاً لتجاربهم الشعرية ركزوا فيها بشكل عام على النواحي الفكرية والفنية للتجربة فكانت العروض وثائق نقدية تعد مصدراً أولياً يمكن أن يتناوله النقاد الأدبيون بالدراسة والبحث.

وتحدث الشاعر أدونيس عن القضايا التي يعتبرها أساسية في الشعر العربي المعاصر انطلاقاً من تجربته الشعرية، وطرحها بصيغة أسئلة ثلاثة هي: ما علاقة الشاعر بتراثه؟ ما علاقة الشعر بالحدث؟ ما معنى الشعرية؟

في محاولة الإجابة على السؤال الأول يرى أدونيس أن كل شاعر يكتب انطلاقاً من ذاته المختلفة والمتميزة بالضرورة عن ذوات الآخرين - ويطرح عدة أسئلة عن مفهوم التراث يستنتج من اجاباتها أن التراث الشعري العربي (ليست له ابداعياً هوية واحدة - هوية التشابه والتآلف - وإنما هو متنوع؛ متمايز إلى درجة التناقض.... ولا نجد في التراث، كمادة شعرية، ما يمكن أن يعطيه مثال هذه الهوية إلا الوزن والقافية). وبعد أن يرفض أدونيس هذا التحديد للشعر والعنصر الذي يوحد التراث الشعري يخلص إلى القول بأن (قضية التراث، كما تطرح في النقد الشعري العربي السائد، ليست قضية شعرية - فنية، بحصر المعنى، وإنما هي قضية إيديولوجية). ويرى أدونيس أن كل شاعر عربي حديث مهما كان اتجاهه أو أسلوبه هو (تموج في ماء التراث) لأنه يكتب باللسان العربي (حتى حين يكون ضدياً). وحتى لا يتحول الشعر تقليداً يجب أن يكون انقطاعاً عن كلام الشعراء السابقين: (فالشعر لا ينمو إلا في نوع من الجدلية الضدية أو التناقضية).

ويتحدث أدونيس عن علاقة الشعر بالحدث فيقول إن الشعر الحقيقي هو الذي يخترق الحدث محولاً إياه إلى رمز. وهذا ما يطرح قضية شائعة تسمى (الواقعية)، ويقصد بها عادة مطابقة الشعر لواقع الحدث الذي تنتج عنها نصوص سياسية أو اجتماعية تقتصر على الدور الوظيفي وهي بالتالي ليست شعراً حقيقياً ولا هي ذات قيمة فنية. وينتهي إلى القول أن قيمة العمل الشعري ليست في مدى تمثيله (الواقع) بل في (مدى قدرته على جعل اللغة تقول أكثر مما تقوله عادة، أي على خلق علاقات جديدة بين اللغة والعالم وبين الإنسان والعالم).

ويحدد أدونيس مفهوم الشاعرية بقوله إن الفرق بين الشعر والنثر ليس في الوزن بل في طريقة استعمال اللغة. فالكلام النثري إعلامي أخباري والكلام الشعري إيحائي تخييلي يقوم على ما يسميه (بالمجاز التوليدي) المتصف بما يتضمنه من البعد الأسطوري الترميزي الذي يكشف عن الجوانب الأكثر خفاء في التجربة الإنسانية، ويدفع إلى رؤية العالم بشكل جديد.

وطرح الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي بعض القضايا الأساسية في التجربة الشعرية العربية المعاصرة انطلاقاً من تجربته الشعرية بما تتضمنه من مواقف فكرية وفنية. يرى حجازي أنه بالرغم من انتصار حركة التجديد في الشعر وتفرع المجددين أنفسهم إلى تيارات، فإن الصراع بين القديم والجديد ما زال قائماً. ويعطي حجازي مثالين على موقفين متناقضين يؤديان - في رأيه - إلى النتيجة نفسها: الأول هو موقف الشاعرة نازك الملائكة التي تراجعت برأيه عن دعوتها إلى التجديد حين قصرت هذا الموضوع على بحث التحولات العروضية في القصيدة واعتبار العناصر الأخرى نتائج لهذه الحرية العروضية، وحدت من حرية الشاعر في التصرف بعروض الخليل وأكدت وجود طريقة ثابتة لكتابة الشعر العربي لا تتحول ولا تتطور مع الزمن. (هذا الموقف اللاتاريخي في الارتداد إلى القديم) - على حد تعبير حجازي - (يقابله موقف لا تاريخي آخر مساوٍ له في الدرجة والقيمة، وإن كان مناقضاً له في الاتجاه) هو الموقف الذي يتبناه الشاعر أدونيس في تأكيده على وجود شكل واحد في القصائد العربية القديمة كلها وإطلاقه بعض الصفات المحددة على الشعر العربي الكلاسيكي بجمله وتعميم هذه الصفات على الثقافة العربية بأسرها، ووضع الشعر الحدث في جهة مقابلة من حيث هو مختلف تماماً ومنقطع عن ذلك التراث الشعري. ويرى حجازي أن هذا الموقف «الثوري» ظاهراً هو موقف مثالي يضع القصيدة الجديدة في موقع مناهض للثقافة العربية ويؤدي بالشاعر المعاصر إلى اليأس والاغتراب ورفض التاريخ ذاته.

ويعرض الشاعر حجازي وجهة نظره في بعض قضايا الشعر العربي المعاصر، فيرى أن علاقة القصيدة الجديدة علاقة قوية بالتراث فهي «استمرار متقدم للحساسية الشعرية العربية التي تمثلت في تراث شعري متنوع». لكن هذه القصيدة تنطلق من التراث لتتجاوزه إلى نفسها فتصبح مرجع ذاتها. كما أن للقصيدة العربية الحديثة علاقة قوية بالثقافة الأجنبية لكنها علاقة حوار وتلاقح لا علاقة اقتباس ونقل. ويؤكد حجازي أن لغة الشعر بطبيعتها لغة رمزية تحول «المفردات من عالم المعجم إلى عالم السحر والأسطورة بالمعنى العميق الشامل، حيث تصبح المفردات بذاتها كائنات» ويخلص حجازي إلى وضع تعريفه الخاص للشعر فيقول: «إن الشعر هو أداتنا لمحاورة الكون وتحقيق الانسجام بيننا وبين نواميسه، إنه اللغة التي يصنعها

البشر ليمتلكوا بها الكون عن طريق معرفته، هو ذاكرتنا الشاملة ووسيلتنا إلى البقاء داخل تاريخ جنسنا واستعادة الطمأنينة في الإحساس باستمراريته. الشعر هو ديوان الانسانية وملجؤها من الضياع ورقيتها ضد الموت».

وتحدث الشاعر سليمان العيسى عن تجربته الشعرية وطرح في عدة نقاط مفهومه الخاص للشعر فقال إن «الشعر نبض الحياة العميق، قمة كفاح الإنسانية». وقال إن الكلمة الشعرية ليست مجرد لفظ لكنها جزء لا يتجزأ من وجودنا: «الكلمة هي الإنسان». وقال العيسى إن تجربته الشعرية تجربة قومية تلتزم قضية الوحدة العربية وتستجيب لقضايا الأمة العربية. لكنه يرفض كلمة «الالتزام» ويرى فيها تعبيراً مصطنعاً ولا يخاف من تعبير الخطابة في الشعر لأنه - على حد قوله - لا يستطيع أن يتصور قصيدة ليس لها سامع: «صحيح أن الشاعر قد يضحي بشيء من فنية القصيدة عندما يعيش في صميم الجماهير، في صميم الحدث، ولكنه مطالب أبداً بأن يحقق المعادلة الصعبة.. أن يرقى بالناس إلى مستوى الجمال والفن، دون أن يضحي بأحد طرفي المعادلة». كما عرض الشاعر العيسى لقضية التراث والمعاصرة ولخّص فيها رأيه بقوله: «أن تعتصر المتنبي ولوركا والمعري وغوته ثم تقف على قدميك وترى الدنيا بعينيك، تلك هي الحداثة والمعاصرة بكلمة أدق: تلك هي الأصالة فيما أرى».

أما الشاعر جعفر ماجد فقد انطلق من الحديث عن تجربته الشعرية الذاتية ليصل إلى بعض الاستنتاجات التي تمثل رأيه في الشعر، يقول: «الشعر عملية خلق عسير تتضافر فيها كل طاقات الإنسان الحية لتصنع من اللغة الآلة خلايا نشيطة تتحرك وتنمو في كيان متناسق ومتناغم وتجد مجالاً لنموها وتوالدها في ذهن القارىء وخياله»، وبالتالي فالشعر ليس فيضاً يتلقاه الشاعر في حالة غيبوبة. ولا يرفض الأستاذ ماجد شعر «المناسبات» لأنه يرى أن الحال الشعرية هي مناسبة القصيدة وأن الناس لكفرهم بالمديح وتعلقهم بالتصور الرومانسي للشعر أصبحوا يتأففون من كلمة المناسبة. ويقف الشاعر ماجد موقف الرفض من شعر الالتزام ويعارضه بالاتجاه «الحر» الذي يقول إن طبيعته تشده إليه. ويرى الشاعر «أن» زهد الناس في الشعر شرقاً وغرباً حقيقة لا تنكر... إن أزمة الشعر ناتجة عن انقلاب حضاري لا تراجع فيه. لقد انتهت حضارة الأدب وقامت حضارة العلم... فلا نظن أن الإنسانية ستستعيد حضارة الأدب من جديد».

وتحدث الشاعر هارون هاشم رشيد عن تجربته الشعرية فقال إن قصائده جميعاً هي وليدة مأساة الإنسان الفلسطيني في صموده أمام العدو الإسرائيلي وصراعه معه للحفاظ على كيانه الوطني والقومي. وتحدث الشاعر عن هجرة الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ وانفعاله أمام هذه المأساة الكبيرة وهو يسكن في قطاع غزة ويعاني لرؤية شعبه المهاجر. وقال الشاعر رشيد إن الملحمة الفلسطينية المتواصلة من عام ١٩٤٨ مروراً بالعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وهزيمة ١٩٦٧ وما تلاها من صراع لم يتوقف هي مادة شعره والطاقة المفجرة لقصائده.

* * *

عند إنتهاء أعمال الندوة وجد النقاد والشعراء أن بإمكانهم أن يتفقوا على تحديد نقاط عامة يمكن استنتاجها من الأبحاث التي قدمت في الندوة والمناقشات التي دارت حولها بالرغم من اختلاف وجهات النظر الذي برز عند بحث أكثر من قضية. ورأى المشاركون اصدار هذه النقاط الأساسية في بيان يطرح القضايا التي وصل المنتدون إلى اعتبارها قضايا أساسية تواجه حركة الشعر العربي المعاصر حتى تطرح أمام المثقفين العرب وتتيح المجال مجدداً لحوار مفتوح حول هذه القضايا الحيوية في الثقافة العربية المعاصرة.

البيان

انعقدت في تونس - الحمامات - بين الرابع والثامن من أيار/ماي ١٩٨١ بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ندوة حول «قضايا الشعر العربي المعاصر» وهي بالموضوعات التي طرحتها للبحث والمناقشة وبالمستوى الذي وصلت إليه من حيث التنظيم والجدية، تعد في نظرنا أول ندوة تنظمها - مشكورة - منظمة عربية رسمية في هذا المجال. وقد رأى المشاركون في هذه الندوة إصدار هذا البيان على الرغم من اختلاف مواقفهم حول بعض القضايا المطروحة.

إن هذا البيان محاولة في تحديد بعض أهم القضايا المتصلة بالتجربة الشعرية المعاصرة. ونحن نأمل أن تكون الأبحاث والآراء والمناقشات التي طرحت في الندوة فاتحة مرحلة جديدة من البحث في هذه القضايا والحوار المتصل حولها.

التجديد في الشعر تجاوز خلاق للخبرات الشعرية السابقة، سواء من الناحية الجمالية أو الدلالية. على أن ذلك لا يعني القطيعة مع التراث بل استلهام العناصر الحية فيه.

ليس الاعلام أو التثقيف وظيفة مباشرة للشعر ومع ذلك، فالشعر ذو فاعلية جمالية ودلالية. فهو يحمل ببنيته رؤية دالة فعالة.

القصيدة العربية المعاصرة ليست قصيدة واحدة، بل هي قصائد متعددة. ونحن نرى التأكيد على حرية الابداع ونرفض تقييد الشاعر بنموذج واحد، سواء أكان هذا النموذج قديماً أو جديداً. إن هذه التعددية تساعد على أن تعطي الإبداع العربي الحديث بعده الإنساني والحضاري. وهي الدليل على حيوية شعرنا وثقافتنا.

نحن نؤمن بضرورة إيصال إبداعنا الشعري إلى الملتقى العربي. فالتجديد لا يعني الإبهام، فضلاً عن أنه لا يعني التسطيح.

الشاعر العربي عنصر فعال في حركة التحرير والنضال على المستويين القومي والإنساني وهذا ما يجعل فلسطين محور تجربته وإبداعه. وفلسطين ليست موضوعاً سياسياً فحسب بل هي وعي إنساني جديد وطاقة تفجير للإبداع والخلق، وما أجدر أن تكون فلسطين حية في وعي شعراء العالم أجمع.

حرية الشاعر الكاملة في التعبير والنشر ضمان لتحقيق دوره الأساسي في حياتنا الثقافية والاجتماعية والحضارية.

- المتمة على الصفحة ٤٨ -

رغبة البشرى حتى تكون الاندفاع الأول متمثلاً في التحلي عن الجسد والفرار لأن الجسد قد عدا شيطاناً توسع أن نصل راجع عناصر النفسية الفولكلورية - لانجرج - ١٩١٣ ص ٨١

(١٢) هايدلبرج. س. د. غير أن الحياة في العالم الآخر تصور باعتبارها كئيبة بصورة بالغة: «التراب طعامهم والحمأ شرابهم» بحيث أنها بالنسبة للبعض تدب أسوأ من العدم الكامل، وبالرغم من ذلك فإن هناك استثناءات تبنى على أساس عدد أسماء المرء أو طريقة موته» فأولئك الذين لهم أربعة أسماء على الأقل يحصلون على شراب من الماء البارد، وذلك الذي مات ميتة بطل بوسعه أن يتمتع أركبه وشرب الماء النقي، ويتعمّق ادراك أنه ليس هناك تناقض بين عدم الايمان بحتمية الموت ووجود نظرية للحياة الأخرى، فكون «بعض» الناس يموتون حتمية لا تسبل لنكرانها وإن كانت لا تعني بالنسبة للإنسان البدائي أن البشر جميعاً «أن يموتوا» إن الاسطورة تحدثنا فحسب عما يقع لأولئك الذين يموتون أو يقتلون

(١٣) يبدو أن ما يفسر لامبالاة الإنسان البدائي بالموت هو عدم الاعتقاد بأن الموت هو عدم نهائي وليس كما يعتقد دوركايم «لأن تدريبه على عدم المبالاة في تقدير فرديته ولاعتياده تعريض حياته للخطر باستمرار فإنه يتحلى عنها بقدر كاف من السهولة» وحينما يقرر دوركايم أنه «ليس من الصحيح أن الحاجة إلى البقاء الفردي كانت تحالج المشاعر على نحو نشط في البداية» فإنه لا يبدو أنه يدرك أن السبب في ذلك ببساطة هو أن الإنسان البدائي لم يعتقد بأن الموت هو النهاية، فإذا لم يكن بوسعه إدراك ما يعنيه ذلك فكيف شعر بالحاجة إلى البقاء الفردي». راجع: إميل دوركايم - الأشكال الأولية للحياة الدينية - فرى برس - ١٩٥٤ ص ٢٦٧ راجع كذلك: رادين - الديانة البدائية - دوفر - ١٩٥٧ ص ٢٧٠.

(١٤) سير جيمس فريزر - الايمان بالخلود - لندن - ماكميلان - ١٩١٣ ص ٤٦٨.

(١٥) نقلاً عن: بول رادين - الديانة البدائية - م. س. د. ص ٢٧١ - ٢٧٣.

(١٦) المرجع نفسه ص ٢٨ - ٢٩

(١٧) موردوك م. س. د. ص ١١، ٧٧، ١٨٣، ٩٥، ٣٤٦، ٤٩٦.

(١٨) كتب ارنست كاسيرر يقول: «إن العقل وهو على مستوى الفكر، مستوى الميتافيزيق يتعين عليه أن يسعى إلى أدلة لبقاء الروح بعد الموت، وتسود العلاقة العكسية في بداية الثقافة الإنسانية، إن ما يتعين إثباته هنا ليس الخلود وإنما الفناء» راجع فلسفة الأشكال الرمزية - نيوهافن - مطبعة جامعة ييل - ١٩٥٥ - الجزء الثاني ص ٣٧.

(١٩) إن علينا أن نعيد النظر في «الانطباع بأن المصريين القدماء كانوا شعباً مريضاً تملكته فكرة الموت وأفنى زهرة حياته في كآبة ووقار في عمار الاستعداد لنهاية الحياة... ليس هناك ما يمكن أن يكون أبعد من هذا عن الحقيقة، لقد قضوا وقتاً غير عادي وبذلوا طاقة غير مألوفة في نعي الموت ومراوغته ولكن، الروح لم تكن روحاً كئيبة متوجسة، بل الأمر على العكس من ذلك فقد كانت روح الفوز المفعمة بالأمل، روح التوق العارم للحياة وتأكيداً حافلاً بالترقب للحياة المقبلة في مواجهة الطابع النهائي الكئيب للموت، راجع: أ. ويلسون - ثقافة مصر القديمة - شيكاغو - مطبعة جامعة شيكاغو - ١٩٥٦ ص ٧٨

(٢٠) المرجع نفسه ص ٢٩٧.

(٢١) يبدو أن لاندسبيرج كان يتسى وجهة النظر تلك حينما قال بأن نشوء الوعي الفردي يسبقه تغيير فعلي في «فردية» الإنسان: «إن هذا الاتجاه إلى الفردية لا يتألف بالأساس من امتلاك ناجحة وعي أكثر تحدداً وأشد دقة بالفردية وإنما هو يكمن في المقام الأول في حقيقة أن الإنسان يكتسب خصوصية بالفعل، ويفترض الوعي المتغير بصورة مسبقة في الكائن، وهكذا فليس الوعي بالموت الفردي هو الذي يحتدم بالأساس وإنما هو في المقام الأول التهديد دائم بهذا الموت.... منذ هذه اللحظة فحسب (أي حينما تتفكك عرى الروابط مع القبيلة) تتكون عنصر قابل لأن يتهدد عبر العدم الحقيقي» م. س. د. ص ١٨ - ١٩.

(٢٢) رادين م. س. ذ. ص ٢٧١.

(٢٣) رادين - الآلهة والبشر في العالم البدائي ص ١٩٠ - ١٩١.

(٢٤) إن الايمان بشكل ما من أشكال البعث ماثل بصورة شاملة في كافة الحضارات القائمة على الالتقاط وصيد الأسماك» راجع» رادين - الديانة البدائية ص ٢٧٠.

(٢٥) ف. م. كورنفورد - من الدين إلى الفلسفة - نيويورك، هاربر - ١٩٥٧ ص ١٦١ راجع أيضاً: ليفي برول م. س. د. ص ٣٥٦

(٢٦) كورنفورد م. س. د. ص ١٠٩.

(٢٧) راجع: اروين رود - النفس - نيويورك - مطبعة الإنسانيات - ١٩٢٥ - الفصل الأول.

(٢٨) كان الاغريق الأوائل يعتبرون السائل المحي (بالتحديد سائل النخاع الشوكي) والمني شيئاً واحداً ومن ثم فإن الروح الخالدة لا تبدو فحسب باعتبارها المبدأ الحي وإنما الحياة وقد انتقلت عبر السلاسل، لمزيد من التفاصيل راجع: ر. ب. أوبيانس - أصول الفكر الأوروبي فيما يتعلق بالجسد، العقل، الروح، العالم والقدر - كامبردج - مطبعة الجامعة - ١٩٥١

(٢٩) راجع لاندسبيرج م.س. د. ص ٥٧ - ٥٩ بصفة صراحة لدى حديثه عن المسألة ذاتها هذه الحالة من حالات الوجود في المقام الأول جسد المرء: «إن السجن هو ذاته الملجأ أيضاً».

(٣٠) سفر الجامعة س داود - ٣: ٢٢٩. ١٦، ٣ - ١٩، ٢٠.

(٣١) جون بيرنت - فلسفة الاغريق الأوائل - بلاك - ١٩٣٠ - الطبعة الرابعة ص ٨.

- تتمة المنشور على الصفحة ١٢ -

لغتنا الفصحى هي لغة ثقافتنا الواحدة وإبداعنا المشترك. ولن تتحقق لنا ثقافة عصرية حقيقية إلا بهذه اللغة ومن خلال تفجير ما تنطوي عليه من طاقات إبداعية مع اعتبار التراث الشعبي المكتوب باللهجات المحلية جزءاً لا يتجزأ من تراثنا القومي نعتز به ونستلهمه.

برامج التربية ووسائل الإعلام لها دور كبير في التعريف بالإبداع الشعري الجديد لذا نرى أن قيام أجهزة الاعلام والتربية بمضاعفة جهودها في هذا المجال يسهم في تعميق الصلة بين الابداع الشعري الجديد وبين المتلقي.

إن النتائج الإيجابية التي حققتها هذه الندوة بفضل جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تشجعنا على التوصية بتكرار مثل هذا اللقاء وتغذية الحوار حول قضايا الشعر المعاصر بالوسائل التي تراها المنظمة مناسبة.